الفصل الثانى عشر

مستقبل السلام العربي الإسرائيلي

« نشأت هذه الدولة من أيديولوجية خادعة ، ومن سلسلة من اعمال العنف والارهاب . وقامت على اساس غير مشروع اتخذته الامم المتحدة ، عندما كانت تسيطر عليها الدول الغربية الاستعمارية . فقامت تلك الدول بممارسة الضغط والرشوة بلا وازع من حياء » .

روجيه جارودى
مفكر فرنسى

« حين تقترب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها للصلح .. فإن أجابتك لصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما » ..

* * *

سفر التثنية

الفصل الثانى عشر

مستقبل السلام العربي الإسرائيلي

السؤال الآن .. إذا كانت نظرة اليهود الإسرائيليين للعرب ، بهذه الصورة ؟ .. فما هو مستقبل السلام العربي الإسرائيلي ، .. بل ما هو مستقبل الاتفاقات التعاهدية التي وقعتها كل من مصر وإسرائيل في كامب ديفيد ؟

في البداية ، فإن كاتب هذه السطور ، يؤيد السلام العربي الإسرائيلي ولكن « السلام الحذر » فإن مكاسب الإسرائيليين قبل وبعد قيام إسرائيل ، قد جاءت نتيجة تسللهم من فتحات عيوبنا ، وليست نتيجة قوة ذاتية ، فهم يجيدون اللعب بأوراق ضئيلة ، ونحن لا نجيد الاستفادة من إمكانيات ضخمة نملكها ، ولولا عيوبنا ما كانت إسرائيل ، ولولا عيوبنا ما كان هذا حالنا ..

فما هو السلام الحذر ؟

إن رجل الشارع في مصر ، قد عبر أصدق تعبير عن هذا السلام الحذر عندما طلبت الحكومة من المحلات التجارية أن ترفع لافتات تؤيد خطوة الرئيس الراحل بزيارة القدس ، وقد كان الشارع المصري – في ذلك الوقت – يؤيد هذه الخطوة لأسباب عديدة أذكر منها :

- إن هذه الخطوة ، ستوقف الحرب ولو لعدة سنوات ، ولقد سئم الناس الحروب ، وأن تفقد كل أسرة شاباً ، وقودالهذه الحروب ، خاصة أن هذا السلام جاء نتيجة لانتصارنا في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ..

- إن الحالة الاقتصادية ، كانت أسوأ مما يكون ، وقد توقفت اعتمادات الخدمات لسنوات طويلة بسبب الحروب مع إسرائيل بالإضافة إلى حرب اليمن ..

- إن الدول العربية لم تقدم لمصر – لأكبر دولة قدمت عبر السنين للقضية العربية – ما يمكن أن تحتاجه للخروج من الأزمة الاقتصادية ، في الوقت الذي ارتفعت فيه أسعار البترول – نتيجة لحرب أكتوبر – عدة أضعاف ، وأصبح الفارق الاقتصادي بين مصر التي أعطت ، والدول العربية فرقاً هائلاً ..

● إن بعض الذين عملوا في الدول العربية قد عادوا ونشروا حكايات كثيرة عن إهانات العرب للمصريين ، بالإضافة إلى ما قامت به وسائل الإعلام في بعض الدول من تجريح في مصر ، سواء عن قصد أو بدون قصد ..

● إن الإعلام العربي ، قبل وبعد الزيارة لم يفهم ولم يتعامل مع طبيعة الشعب المصري ، فعندما قام بشن حملة ضارية على النظام ، ووصفه بأبشع الأوصاف والنعوت ، بل امتد هذا إلى الشعب ذاته ، هذا الإعلام استنفر روح التحدي لدى الشعب المصري ، مما جعله يقف بجانب خطوة السادات في رحلته إلى إسرائيل ..

* * *

لهذه الأسباب .. خرجت الملايين لاستقبال السادات من رحلته إلى القدس .. ولهذه الأسباب رفعت المحلات التجارية لافتات تؤيد خطوة السادات ، فكانت العبارات كلها تدور حول معنى واحد أن « مصر تؤيد السادات في خطوته نحو السلام » ، « أن مصر جادة في السلام » ، ولكن لم تذكر لافتة واحدة « السلام مع إسرائيل » وقد أثارت هذه الشعارات الصحفيين الإسرائيليين ، فلا يوجد ذكر لإسرائيل في شعارات السلام التي غطت شوارع القاهرة ، ولا يوجد علم واحد لها في كل هذا المهرجان .

فقام الصحفيون بسؤال أصحاب هذه اللافتات :

— لماذا لم تذكروا السلام مع إسرائيل .. إن الرئيس السادات قد أعلن طيَّ صفحات الماضي ، وتدمير حاجز الخوف النفسي بين مصر وإسرائيل ، فهل هذا الحاجز مازال لديكم ؟

وكادت الإجابة أن تكون واحدة ، بين كل الذين أدلوا بإجاباتهم على أسئلة الصحفيين الإسرائيليين ، قالوا لهم :

— يصعب تدمير حاجز الخوف منكم ، إننا نريد حقاً سلاما ، ولكن ما لنا لديكم لن تستطيعوا التفريط فيه ، هل يمكنكم إعادة كل الأرض العربية المحتلة إلى أصحابها ؟ .. إن مصر جادة في السلام .. وقادرة عليه .. ولكن هل أنتم جادون في ذلك ؟ .. إننا نخشى أن تعيدوا إلى مصر بنوك الرهونات .. إننا نخشى ما نسمعه عن ضرورة سيطرتكم على الاقتصاد العربي في حالة السلام .. إننا نخشى نظرياتكم السابقة في تدمير الشعب ..

كانت هذه الإجابة تعني للإسرائيليين بأن المصريين حذرون في قضية السلام المصري الإسرائيلي ..

* * *

في فندق ميناهاوس بالقاهرة ، كانت أولى مفاوضات بين المصريين والإسرائيليين وجهاً لوجه بعد زيارة الرئيس الراحل أنور السادات إلى القدس[1] ، وكانت هناك أزمة بين الوفد المصري والإسرائيلي حول العلم الفلسطيني الذي رفعته مصر على بوابة الفندق ، وكان الإسرائيليون يطالبون بإنزال العلم .

في ذلك الوقت كنا مجموعة من الصحفيين المصريين نجلس في المقهى الملحق بالفندق ، والذي أعدته هيئة الاستعلامات المصرية ليكون مركزاً عالمياً للصحفيين العرب والأجانب . في هذا الوقت كان الإسرائيليون توافقون للحوار مع الصحفيين العرب ، فربما يكون هذا الحوار هو أول حوار إعلامي عربي إسرائيلي مباشر ، وكان من بين الصحفيين الإسرائيليين الذين جلسوا معنا المفكر الإسرائيلي يوري أفنيري[1] . وكان السؤال عن إمكانية دخول أطراف عربية أخرى في ساحة السلام .

قلت : أي سلام .. إذا كان وفدكم بدأ بالاعتراض والرفض للعلم الفلسطيني ..

وعن السلام كان حوار تلك الليلة ، وقلت أن الخطوة المصرية ما هي إلا فتح الباب أمام الجميع للسلام ، ولن يكون هناك – سلام حقيقي حتى لو تم إبرام معاهدات مصرية إسرائيلية دون حل القضية الفلسطينية ، وسيظل الموقف المصري حذراً تجاه السلام حتى تحل القضية الفلسطينية ..

قال صحفي إسرائيلي ، ولكن الرئيس السادات سوف يذهب إلى نهاية الطريق ، سواء بمفرده أو مع العرب .

قلت : السلام ليس معاهدات ولا اتفاقيات ، قد تؤدي المعاهدات إلى وقف حرب لفترة ، ولكن لا تؤدي إلى السلام ، السلام هو السلام بين الشعوب وترعاه الحكومات .

لقد تحدثنا طويلاً في قضية السلام، وعدت لأدون ما جاء في هذه الجلسة ..

كانت أفكار السلام التي طرحناها تتلخص في الآتي :

---

(١) عضو في الكنيست ورئيس تحرير « مجلة العالم الإسرائيلية » وله عدة دراسات عن السلام العربي الإسرائيلي ، والتقى بياسر عرفات أثناء حواره في بيروت وأجرى معه حواراً أثار ضجة كبرى في إسرائيل .

أن تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية ، وذلك بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وأن تنسحب من الجولان بالاتفاق مع السوريين ومن سيناء بالاتفاق مع المصريين ، على أن يحدث ذلك سواء بمفاوضات منفردة ، أو تحت مظلة دولية ، بشرط أن تعلن إسرائيل موافقتها على الانسحاب ..

قال صحفي إسرائيلي : ولكننا نخشى نظاماً سياسياً في الضفة الغربية يؤيد وتؤيده موسكو .

قلنا (الصحفيون العرب والمصريون) : كل هذه الأمور تفصيلية يمكن أن تأتي في المفاوضات ، بل ان العالم العربي لا يمانع في إقامة اتحاد إسرائيلي فلسطيني بشرط أن يتخلى اليهود عن « يهودية إسرائيل » بل يمكن أن تتحول إسرائيل إلى دولة علمانية ، وإذا خلصت النوايا يمكن إقامة فلسطين الكاملة بما عليها من فلسطينيين ويهود .

قال الإسرائيليون : وما هو المقابل ؟

قلنا : السلام .. والتعاون الاقتصادي ، والعيش في أمان ، فلن تتمكنوا من الحرب حتى نهاية العالم .. وإذا كانت إمكانيات العالم العربي تمكنهم من خسارة عشرات المعارك .. فإن إمكانيات إسرائيل لا تمكنهم من خسارة معركة فاصلة واحدة ..

قالوا : هل معنى ذلك العودة إلى تصريح أحمد شقيري أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية عندما قال سوف نلقي باليهود في البحر .

قلنا : الشقيري نفى ذلك ، ولكن العرب لم يلقوا اليهود في البحر .. ولم يقيموا المذابح ضد اليهود .. وأذكر أن العرب المسلمين عندما خرجوا من الأندلس .. أقيمت لليهود المذبحة الأسبانية الشهيرة ضد اليهود .. لقد عاش اليهود – رغم روح الجيتو – في الدول العربية بسلام حتى أقيمت إسرائيل ..

أذكر أن البعض قد وافق على الاقتراح الإعلامي العربي للسلام .. ولكن معظم الإسرائيليين لم يفهموا ما نقول ، لأنهم لا يتصورون إلا السلام الذي سمعوه وقرأوه وتمنوه في صحافتهم وعلى ألسنة قادتهم ..

* * *

ولكن .. لقد أعلن الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات عن إمكانية التعايش الفلسطيني اليهودي ، داخل دولة علمانية ، وقد لاقت هذه الدعوة صدى عند بعض المثقفين الاسرائيليين ، الذين تحدثوا بصمت عن « الدولة العلمانية » . . منهم بنجامين عمرى واصدر كتاباً بعنوان « اسرائيل وفلسطين - بعد الحقبة الصهيونية » . .

وهو كتاب يوجهه بنجامين إلى « يهود الشتات » لأن الإسرائيليين لن يلتفتوا إلى ما يقوله ، إن بنجامين يؤكد أن الحركة الصهيونية محكوم عليها بالموت إن آجلاً أو عاجلاً ، وإن إنقاذ الشعب اليهودي الموجود داخل إسرائيل لن يتم إلا من خلال سلام حقيقي مع الفلسطينيين أولاً ومع العالم العربي ثانياً ، فإن الحركة الصهيونية حاولت أن تحل مشكلة اليهود على حساب الفلسطينيين ، يقول بنجامين في وصفه للدولة الإسرائيلية : « إن الأيديولوجية الميتة للثورة الصهيونية ، والتي تتنبأ بالهجرة الكبرى ، ما هي إلا سراب لليهود الإسرائيليين ، ومصدر خوف وهمي للعرب يغذي فساد اليهود الإسرائيليين والرفض العربي .

وإسرائيل كدولة يساندها الغرب ويسيطر عليها اليهود وحدهم – تغذي بوجودها ذاته على هذا النمط – الرفض العربي ، وذلك لكونها حصناً غربياً بالفعل في قلب منطقة الشرق الأوسط ، لذلك فإنها تبدو في أعين دول الشرق الأوسط الخطر الدائم على استقلالها وهو الدور الذي لا تستنكف المؤسسة الإسرائيلية – الصهيونية – أن تلعبه ..

إن السعي من أجل بقاء إسرائيل كدولة يسيطر عليها اليهود هو السبب الرئيسي لقهر الشعب الفلسطيني ، سواء كان ذلك في صورة التمييز ضد العرب الإسرائيليين .. أو منع إقامة الحكم الذاتي الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، أو – وهو الأسوأ من ذلك كله – منع إعادة توطين لاجئي عام ١٩٤٨ في وطنهم وقهر الفلسطينيين هو مصدر آخر يغذي الرفض العربي ..

ويقدم بنجامين عمرى مشروعاً للدولة الفلسطينية الإسرائيلية ، وهذا هو الحل – كما يراه – لإنقاذ الأجيال القادمة من اليهود .

* * *

ويضع أوري أفنيري خطة أخرى للسلام ينشرها في مجلة هذا العالم الذي يرأس تحريرها ، تقول خطة أفنيري :

إن البلاد بكاملها وطن لأمتين : الأمة العبرية والأمة الفلسطينية .. وأن وحدة البلاد ضرورية بجميع سكانها من الناحية الروحية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية .. ولا يمكن تحقيقها إلا بفضل اتفاق بين الشعبين اللذين يعيشان فوقها والذين يحق لكل منهما الاستقلال الوطني .. وأن المناعة القومية للشعبين في البلاد تتحقق بوجود دولتين ، دولة إسرائيل ودولة فلسطين ، يكونان مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية ، وعلى إسرائيل أن تشجع قيام دولة فلسطين العربية على الضفة الغربية للأردن ، وفي قطاع غزة ، شريطة أن تدخل هذه الدولة منذ البدء في حلف سياسي ودفاعي مع إسرائيل ..

وترسم الحدود الداخلية بين الدولتين وفقاً للحدود التي كانت قائمة قبل ٥ يونيه حزيران ١٩٦٧ .. ولا يمكن تعديل هذه الخطوط إلا بعد موافقة الدولتين .. وتكون مدينة القدس الموحدة عاصمة دولة إسرائيل ودولة فلسطين .. ومركز مؤسساتهما المشتركة .. ولا تمنع الروابط القائمة بين الدولتين قيام شركة خاصة بين إسرائيل والعالم اليهودي ، ولا بين فلسطين والعالم العربي ..

ويدعى شعب شرق الأردن إلى الانضمام إلى الحلف الإسرائيلي – الفلسطيني إما باندماج الضفة الشرقية مع دولة فلسطين ، وإما بإدخال الضفة الشرقية كدولة ثالثة في الحلف . وتحتفظ كل دولة بسيادتها الكاملة في جميع الأمور التي ليست مدرجة صراحة في الحلف .. ولا يجوز لأية دولة مشتركة في الحلف توقيع أية اتفاقية مناقضة للدولة الشقيقة ، أو توقيع معاهدة مع دولة أجنبية دون موافقة الدولة الشقيقة المسبقة .. ولا توجد أية حواجز اقتصادية داخل البلاد غير التي تقام برضى متبادل ..

واتفاقيات الدفاع : لا يسمح فيها لأية قوة عسكرية أجنبية دخول البلاد وتقام ضمانات فعلية لمنع التهديدات المسلحة الموجهة ضد الدولة الشقيقة .. إن هذه الضمانات قد تشمل مناطق منزوعة من السلاح ، وقواعد عسكرية لكل دولة داخل أراضي الدولة الشقيقة ، و (أو) إقامة جيش فيدرالي مثلما ينص عليه الحلف ..

وحرية التنقل : لا تخضع حرية تنقل مواطني الدولتين في جميع أنحاء البلاد لأي تقييد مهما كان ..

ولا تقبل الحواجز أمام إقامة الفلسطينيين في إسرائيل أو الإسرائيليين في فلسطين إلا بعد رضى متبادل بين الدولتين .. ويدعى كل الفلسطينيين إن كانوا لاجئين أو مستوطنين إلى العودة إلى البلاد .. إن سكان اللاجئين يقع على عاتق مسئولية إسرائيل وفلسطين معاً .. وتحتفظ كل دولة بسيادتها الكاملة على كل ما يتعلق بالاستيطان في أراضيها ..

وتكون العبرية والعربية لغتي الدولة الرسمية .. ، ويشكل الحلف الإسرائيلي – الفلسطيني الخطوة الأولى نحو إقامة فيدرالية تامة تجمع الدولتين المشتركتين ولا يمكن فسخ الحلف ، أو بند من بنوده ، إلا بعد موافقة الدولتين .. كل فسخ اعتباطي للحلف من أحد الفريقين يخول للفريق الآخر الحرية التامة في المحافظة على مصالح وجوده وأمنه الحيوية ..

ويهدف الحلف – الإسرائيلي الفلسطيني – أساساً إلى تحقيق إندماج البلاد بدولتيها في إطار إقليمي عريض ، ويرتكز على سلام عادل ، وعلى التعاون الاقتصادي وسوق اقتصادية مشتركة وعلى وسائل دفاعية جماعية بغية الوصول إلى إقامة دولة كونفيدرالية إقليمية ..

* * *

هذه أصوات خافتة جداً داخل المجتمع الإسرائيلي وهي أفكار خائفة إلى حد كبير من ضجيج الإرهاب داخل المجتمع الإسرائيلي ، إلا أن مفكراً فرنسياً يرى صورة أخرى للسلام[1] ، فيقول :

١ – ليس لدولة إسرائيل ، في المكان الذي زرعوها فيه ، أية شرعية سياسية أو توراتية أو قانونية خلقية .. وتصرفاتها في الداخل والخارج (عنصريتها ، وتوسعها وإرهابها) يجعل منها دولة مثل غيرها ، بل من أسوأ الدول ، وهي شبيهة بمن ترتبط بها بأوثق الرباط : فهي شبيهة بالولايات المتحدة ، تأخذ عنها أسوأ تقاليدها مع الهنود الحمر والهنود السود ، وتطبقها ضد العرب .. وتأخذ عنها أسوأ تصرفاتها (مثل ما فعلته في فيتنام) .. وتختفي مثلها وراء أوهام الديمقراطية ، وتتعاون معها في أمريكا اللاتينية ، ومع شر الديكتاتوريات دموية في تلك المنطقة) ..

– وهي شبيهة بجنوب أفريقيا ، فتمارس مثلها التفرقة العنصرية .. والاستعمار البالي ..

– وهي شبيهة بالسلفادور ، وجواتيمالا ، وأورجواي (التي كانت الملجأ الأساسي لقدماء النازيين) ، فهي تقدم لتلك الدول السلاح والمدربين العسكريين حتى يستطيعوا ممارسة الإرهاب ضد شعوبهم ..

٢ – المذهب الذي قامت عليه دولة إسرائيل وهو الصهيونية السياسية لم يأت من التقاليد اليهودية – ولكنه – نبع من القومية والاستعمار الغربيين في القرن التاسع عشر ،

(١) روجيه جارودي « حلف إسرائيل » ترجمة الدكتور مصطفى كامل فوده ..

وتتخذ الصهيونية السياسية من التقاليد اليهودية قناعاً تختفي وراءه .. وذريعة تتذرع بها .. والصهيونية نوع من العنصرية ، ومن القومية ومن الاستعمار ..

٣ – نشأت هذه الدولة من أيديولوجية خادعة ، ومن سلسلة من أعمال العنف والإرهاب ، وقامت على أساس غير مشروع اتخذته الأمم المتحدة عندما كانت الدول الغربية الاستعمارية مسيطرة عليها ، فقامت تلك الدول بممارسة الضغط والرشوة بلا وازع من حياء .. لم تعش هذه الدولة بفضل عملها وطاقاتها الخاصة بها ، ولكنها عاشت – شأنها شأن الصليبيين في الماضي – على تدفق المال والسلاح من الولايات المتحدة التي تتخذ من إسرائيل أداة لها في استيراتيجيتها العالمية .. والتي جعلت من إسرائيل جزءاً منها غرسته في الشرق الأدنى ..

٤ – تندرج دولة إسرائيل – بعد تجريدها من أساطيرها التي قامت عليها .. ومن إرهابها الفكري والمادي – في السلك العادي للدول ، فلا هالة تجلل هامتها ولا امتياز لها ، ولا أية صفة مقدسة ..

وكل الدول نشأت من حق معين ، ولم تنشأ من توازن القوى ومن مجموعة من الأمور الواقعة ..

٥ – ليس من الممكن إعادة التاريخ ، ورسم حدود الدول بقوة السلاح ..

٦ – من غير المعقول مطالبة منظمة التحرير بالاعتراف بإسرائيل بلا شرط وذلك لأسباب عديدة أهمها ثلاثة :

(أ) معنى ذلك هو مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بمشروعية اغتصاب الأرض وطرد أصحابها ..

يمكن على مضض قبول دولة إسرائيل كواقع ، ولكن لا يمكن الاعتراف بها كحق .

(ب) دولة إسرائيل – بطبيعتها الصهيونية ، وبوجودها القائم على تتابع الاغتصابات وعلى الحروب – في توسع دائم ، وهي دائماً طامعة بعد كل هجوم وكل ضم للأراضي العربية ، في مجال حيوي جديد .

فلا يمكن إذن الاعتراف بصحة حدود « مطاطة » فبأي إسرائيل يراد أن تعترف منظمة التحرير الفلسطينية ؟ هل تعترف بتقسيم ١٩٤٧ كما حددته الأمم المتحدة أم تعترف بما استولت عليه بعد ذلك بالإرهاب وبدير ياسين ؟ أم تعترف بإسرائيل ١٩٦٧ بأراضيها التي حصلت عليها بالحرب الوقائية والغزو ؟ أم تعترف بإسرائيل ١٩٨٢ بمستوطناتها

المتغلغلة في كل مكان ؟ أم تعترف بإسرائيل كما هي في أحلام جنون العظمة لدى هرتزل (من الفرات إلى نهر مصر) ، ولدى بن جوريون (من الليطاني إلى سيناء) ، أو لدى شارون الذي يحلم بالسيطرة على الشرق الأدنى من الدردنيل إلى مصر والسويس ؟ أم هل تعترف بإسرائيل صاحبة مشروع تفتيت الدول العربية وفقاً لما فيها من جنسيات وأديان ؟

(ج) كيف يطلب من منظمة التحرير الاعتراف بصحة شيء بينما ينكرون عليها هي حقها في الوجود ؟ كيف يطلبون اعترافاً من هيئة لا يعترفون بوجودها ؟

ومع أي مفاوض أكثر تمثيلاً للفلسطينيين يريد زعماء إسرائيل أن يتفاوضوا إذا كان من انتخبهم الفلسطينيون ، العمد الذين اختارهم الفلسطينيون قد أبدوا رأيهم بأغلبية ساحقة أنهم مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد فصلهم جميعاً المحتل الإسرائيلي ؟

وهل ستكون التعديات الجديدة على الأرض المحتلة تفاوض مع حفنة من الخونة والعملاء والدمى التي تحركها إسرائيل ، هل سيكون التفاوض مع أولئك الذين يعتبرون لدى العرب كما يعتبر « حداد » لدى اللبنانيين ؟

الحقيقة أن زعماء إسرائيل ابتداء من بيجن إلى شيمون بيريز لا يريدون التفاوض مع أحد ..

٧ – وإذن فلن يجيء حل المشكلة إلا من المجتمع الدولي ، من الأمم المتحدة ..

(أ) ليست المسألة كما تدعي دعاية كاذبة هي « إلقاء إسرائيل في البحر » إن الشيء الذي يقاومه الفلسطينيون كما يقاومه كل أنصار الحرية في العالم هو المذهب الصهيوني وليس الأشخاص ولا الشعب اليهودي ، الذي يقاومونه هو الصهيونية السياسية والتصرف العدواني الذي تقوم عليه دولة إسرائيل ويؤمن به ساساتها ..

(ب) هناك تشبيه يصح في هذا الوضع جاء على لسان أحد زعماء منظمة التحرير حين قال : لو ولد طفل غير شرعي فإننا لا نقتله حتى ولو كان ثمرة اغتصاب .

(ج) ينبغي أن يضمن المجتمع الدولي أي حل لتلم المشكلة الدولية وذلك بغض النظر عما حدث في الماضي حين تناولت منظمة الأمم المتحدة – عندما كانت تحت سيطرة الغرب – بطريقة غير مشروعة أن تنتصف لليهود مما حاق بهم على يد هتلر فظلمت الفلسطينيين مع أنهم لا علاقة لهم بذلك الظلم ..

٨ – رغم أن زعماء إسرائيل قد استهانوا دائماً بقرارات الأمم المتحدة ، فإن الحل

الوحيد المشرف للجميع وضامن الأمن لجميع الإسرائيليين والعرب هو – كما اقترح ياسر عرفات – قبول الجانبين لكل قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين ..

ولنذكر أن أول قرار يتعلق بالتقسيم ويرسم حدوداً ثابتة للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية ..

والقرار الثاني يعترف بحق وجود إسرائيل .

ورغم أن تقسيم وإنشاء دولة إسرائيل يخرجان قانوناً عن صلاحيات الجمعية العامة ، وأنهما غير منصفين فى اساسهما ، الا انهما قد تم الاعتراف بهما من الفلسطينيين احتراما للقانون الدولى شريطة ان يقبلهما الجانب الاخر مع الضمانات الدولية

٩ – عند التطبيق يتبين ان العقبة الوحيدة هم الاسرائيليون الذين يرون ان خطتهم الصهيونية وان الاسطورة التى بنوا عليها دولتهم سيتجمدان نتيجة ذلك ...

وليس فى اقتراح هذا الحل ما يعتبر خيالا لان الصهيونية السياسية قد اصبحت شيئا خرافيا ويزداد هذا الوضوح يوما بعد يوم ... والدليل على ذلك :

– ان ١٨٪ فقط من يهود العالم قد استجابوا لنداء العودة ...

– ان التيار قد انعكس وأصبح عدد من يغادرون اسرائيل أكبر من عدد من يفدون إليها ...

واذن يمكن لنا اليوم ان نسجل ان فشل الصهيونية السياسية ومشروعها لجلب يهود العالم إلى فلسطين لتهيئ لهم معزلا خاصا بهم هناك ، وما وغب المناهضون للسياسية شيئا أكثر من ذلك ...

١٠ – تحقيق هذا الحل السلمى الذى سيخمد امكانية اشتعال حرب عالمية ثالثة هو امر يتوقف على المجتمع الدولى ...

واننا نستبعد طبعا الالتجاء إلى القوة ، ونشير فقط إلى ان اعتماد الدولة الصهيونية على الخارج اقتصاديا وماليا وعسكريا هو من الضخامة بحيث لو تم تخفيض مندرج فى تلك المعونات لامكن إجبار زعماء إسرائيل – من بيجين إلى بيريز – على التفاوض .

١١ – نشر هذا الكتاب بالفرنسية والانجليزية يهدف إلى ان يكون اسهاما فى تبديد غشاوة خداع الرأى العام العالمى ولا سيما فى امريكا وفرنسا واسرائيل ، وذلك بعرض

الحقيقة الموضوعية العارية عليهم عن طريق ادلة لا تدحض من اجل طرح المشكلة لنقاش سياسي هادىء وواضح ..

١٢ – ويمكن البدء فى تحقيق ما يلى :

(أ) ضمان الأمن لكل طائفة ، والقضاء على أى تمييز عنصرى ، وضمان حق كل طائفة فى تقريرى مصيرها ، وان يكون ذلك تحت رعاية قوة دولية .

(ب) وقف ارسال الاسلحة والذخائر والمعدات العسكرية إلى الشرق الاوسط وتحريم جمع المال فى أى بلد كان بواسطة الأجهزة الرسمية للدولة الإسرائيلية وهي « الحركة الصهيونية العالمية » ، والوكالة اليهودية العالمية ، وقد شكلت هاتان الهيئتان بناء على قوانين صدرت في دولة إسرائيل ..

(جـ) تجريد دولة إسرائيل تدريجياً من صبغتها اليهودية وهي عملية لابد منها لأمن إسرائيل ذاتها ولأمن جيرانها ، وهي وحدها التي تجعل التفاوض ممكناً ومما يساعد على سير هذه العملية قدماً أن تصحبها عقوبات اقتصادية متزايدة حتى يخضع زعماء إسرائيل لضغط الرأي العام الإسرائيلي ويبدأوا مفاوضة حقيقية مع منظمة التحرير الفلسطينية ومع كل من تضرروا من سياستهم وعدوانهم منذ أكثر من نصف قرن ..

عند ذاك ، وعند ذاك فقط يفتح الباب أخيراً أمام اندماج حقيقي لتلك الدولة ، بعد زوال وضعها كجيب غربي استعماري عنصري في تلك المنطقة ، لتصبح جزءاً – كما كان يحلم به ويرجوه مارتن بوبر في ١٩٤٧ – من دولة فيدرالية يتعايش فيها دون أي تمييز عنصري .. العرب واليهود فوق أرض نشأت بها أمال الأديان السماوية الثلاثة من ملة إبراهيم : اليهود والمسيحيون والمسلمون فيواصلون حمل الرسالة الثقافية والقيم الإنسانية الرفيعة .

* * *

ولكن .. كيف يفكر معظم الشعب اليهودي في السلام ؟

عندما عرض الرئيس الراحل أنور السادات ، السلام على إسرائيل ، لم يكن لديهم خطة واحدة للسلام ، فإن لديهم عشرات الخطط الجاهزة للحرب ، ولا يوجد لدى القيادات السياسية الإسرائيلية خطة واحدة للسلام .

فإن معظم القيادات السياسية الإسرائيلية ترى أنها لم تحقق بعد إسرائيل الكبرى ، وأنها لم تحقق الهجرة كل يهود الشتات إليها لتقيم دولة كبيرة قادرة على التهام الدول الأخرى ، بل ان

هناك ـــ داخل القيادات الإسرائيلية ـــ من يؤمن بأن التوتر الدائم ، والحرب الدائمة هي البوتقة الوحيدة لصهر اليهود في نسيج عبري واحد .. وأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزداد وقت الخطر ، بل إن السلام سوف يجعل إسرائيل « دولة أوسطية » ، بكل مافي دول الشرق الأوسط من أمراض وتخلف ..

وأن سياسة الردع والإرهاب هي الحاجز بين « الدولة اليهودية المتقدمة » وبين « الدول العربية المتخلفة » .. وعندما كانت إسرائيل تعاني من الإضطرابات الداخلية فتقوم بعمليات عسكرية على الحدود حتى « يتوتر المجتمع الإسرائيلي » للخطر الخارجي ، فينسى خلافاته ، ولكن في حالة السلام ، فإن هذا التوتر لن يكون له أثر ، وبالتالي فإن الخلافات الداخلية سوف تمزق إسرائيل . يرون أن السلام مرضاً قد يؤدي في النهاية إلى المجتمع الإسرائيلي ، فإن جوش ايمونيم[1] ترى أنه في ظل السلام هناك خشية جدية من أنه في حالة عدم وجود التوتر الأمني سوف يتدهور التوتر الفكري ، الذي مازال موجوداً هنا وهناك يعشش في القلوب ، والخطر الشديد من التفتت الداخلي سوف يهدد المجتمع الإسرائيلي ، يقولون أيضاً أن اليهود الذين يؤمنون بأن السلام لديهم هو قيمة عليا ومقدسة ونبوءة إلهية ليسوا على استعداد لاستبداله بسلام خاص بالجولات في الأهرامات ، ولا حتى بالمفهوم الإسمي الخاص بتخفيف العبء الأمني والمتصل بالميزانية الذي معناه هو الآخر ، راحة مادية مؤقتة ووهمية ..

* * *

إن فكر « جوش ايمونيم » منسجم مع تاريخ الكثير من قادة إسرائيل ، الذين تخرجوا من العصابات الإرهابية التي اندمجت في « جيش الدفاع الإسرائيلي » ثم تركوا جيش الدفاع الإسرائيلي ، ولعبوا دوراً هاماً ـــ ومازالوا ـــ في السياسة الإسرائيلية كمناحم بيجين ، وأريل شارون وغيرهم ..

* * *

بعض المفكرين العرب ، يرون أنه لو تحقق السلام العربي الإسرائيلي فإن الصراع سيظل قائماً ولكنه سيأخذ شكلاً آخر ، وسوف يتحول إلى « صراع حضاري » .. وهذا ما نتمناه ، ولكن اليهود يرون أن السلام العربي ممكن تحقيقه ، ويصبح له ثلاثة أضلاع مهمة :

أولاً : العبقرية اليهودية ..
ثانياً : المال العربي ..
ثالثاً : الأيدي العاملة العربية بوفرتها الحالية ..

فما هي رؤية اليهود « لعبقريتهم » ؟

اليهود يتصورون أنفسهم عباقرة ، وأن الله قد خصهم وحدهم بهذه العبقرية ويتحدثون كثيراً عن فضل عبقريتهم على الحضارة الإنسانية ، ومعنى ذلك أنهم « السادة في سلام الشرق الأوسط ، وأن يصبحوا ملوك الثروة ، للدول التي تملكها وأن تصبح الدول الفقيرة أجيرة عندهم .. وهذا ما يفعلونه بالعرب في الأرض المحتلة ..

* * *

اليهود بعقلية الجيتو .. وعقلية الإرهاب لن يكونوا جادين في سلام عادل وحقيقي ، بل انهم يعتبرون السلام مع مصر « هدنة زمنية » أو « حرب مؤجلة » .

لهذا فإننا يجب أن نضع استراتيجية ثابتة – وخاصة مصر – لقدرة السلام مع إسرائيل ، على ضوء الفكر اليهودي للسلام ، وهل هو سلام حقيقي ، أم هدنة زمنية وحرب مؤجلة ..

* * *